مجلة علمية دولية محكمة نصف سنوية
تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة-تيسمسيلت/الجزائر
ISSN 2571-9882 EISSN 2600-6987
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/297
Contemporary Studies is a bi-annual open access International double-blind journal. It is published by the University of Tissemsilt, Algeria.

المجلد: 05 / العدد: 02 / (2021)، ص178/187

السوسيولوجيا التجريبية و تطبيقاتها في النقد العربي

The Empirical sociology and its applications in Arab criticism

د.أحمد الحاج أنيسة
ahmedlhadj.anissa@yahoo.fr
جامعة ابن خلدون تيارت
(الجزائر)

تاريخ الاستلام:2021/06/26 تاريخ القبول:2021/08/22 تاريخ النشر:2021/12/02

ملخص:

إن غايتنا الأساسية من هذا المقال هي الكشف عن اتجاهات البحث ومجالاته في المنهج السوسيولوجي التجريبي ، والوقوف على أشكال تلقي النقد العربي لمفاهيمه و آلياته الإجرائية ،ومعاينة مدى فاعليته في مقاربة النصوص الأدبية من خلال نموذجين نقديين ، وهما :

دراسات في النقد الروائي بين النظرية والتطبيق لجميل حمداوي و الرواية المغربية و التغيير الاجتماعي لمحمد الدغمومي .

كلمات مفتاحية:السوسيولوجيا.،التجريبية.،المؤلف.،الإنتاج.، التوزيع.، الاستهلاك.

Abstract:

The main purpose of this article is to reveal the trends and areas of research in the experimental sociological approach, to identify the forms of receiving Arab criticism for its concepts and procedural mechanisms, and to examine its effectiveness in the approach of literary texts through two critical models : studies in novel criticism between theory and practice of JameelHamdaoui and the Moroccan novel and social change.

Keywords: Sociology; experimental; author; production;distribution; consumption

مقدمة :

إن انفتاح النقد الروائي العربي على المناهج السوسيولوجية،أسهم في دراسة الرواية العربية كفن مستقل له قوانينه ومميزاته الخاصة ، و لكن اطلاعنا على مستويات الممارسات النقدية الروائية في العالم العربي ذات البعد السوسيولوجي ، يظهر لنا تفاوتا في تبني المناهج السوسيولوجية و تطبيقاتها على النصوص الروائية ، فالبنيوية التكوينية مثلا حظيت باهتمام نقادنا فانكبوا على شرحها وتفسيرها في مقدماتهم النظرية ، كما عملوا على تمثلها وتطبيقها في مقارباتهم النقدية.

في حين ، لم يحظ المنهج السوسيولوجي التجريبي بالمكانة نفسها سواء من حيث تمثل نقادنا لمفاهيمه النظرية وتبنيهم لأدواته الاجرائية في مقاربتهم للأعمال الروائية ، أو من حيث قراءتهم لمنجزاته النقدية النظرية أو التطبيقية. ويمكن أن نرجع هذا الإقبال المحتشم على تطبيق المنهج السوسيولوجي التجريبي في الدراسات النقدية العربية إلى غياب مرجعية فلسفية تؤطر جهازه المفاهيمي، واتجاهه وجهة مغايرة للمناهج السوسيولوجية تهدف إلى دراسة الواقعة الأدبية ؛ بماتشمله من جوانب إنتاجية وتوزيعية واستهلاكية .

وهنا ، تبدو الحاجة ملحة لمساءلة المنجز النقدي الروائي العربي- الذي اتخذ السوسيولوجية التجريبية منهجا له- في مرجعياته النقدية ، ومدى قدرته على تمثل المفاهيم النظرية و تحويلها إلى أدوات إجرائية قادرة على استكناه مغاليق النصوص الروائية . فما الاستراتيجيات النقدية التي اعتمد عليها الناقد العربي في تبنيه للمنهج السوسيولوجيالتجريبي ؟ وهل طبق مفاهيمه النظرية تطبيقا حرفيا وأسقطها على النصوص الروائية ليثبت فعالية المنهج ، دون مراعاة لخصوصية النصوص الروائية العربية ؟ أم أنه اتبع استراتيجية مغايرة سعى من خلالها إلى تطعيم مقاربته النقدية بمناهج نصية مختلفة ، تتكيف مع خصوصية النصوص الروائية ، وتراعي سياقاتها الحضارية؟

وللإجابة عن هذه الإشكاليات، حددنا الأطر الكبرى التي تحكم المقاربة السوسيولوجية التجريبية عند كل من (روبير إسكاربيت Robert Escarpit) [*] و(ألبير ميمي Albert Memmi) [**]، كما بينا بعد ذلك مدى قدرة الناقد العربي على تمثل مفاهيم السوسيولوجية التجريبية وتطويعها بما يتناسب وخصوصية النصوص الروائية العربية ، وذلك من خلال نموذجين نقديين ، وهما : دراسات في النقد الروائي بين النظرية والتطبيق لجميل حمداوي و الرواية المغربية و التغيير الاجتماعي لمحمد الدغمومي .

1.السوسيولوجيا التجريبية مفهومها واتجاهاتها:

يختلف النقد السوسيولوجيعن النقد الاجتماعي في قيامه على فرضيات مستمدة – في الأساس- من علم الاجتماع ونظرياته ومناهجه، ونستطيع أن نميز طريقتين أساسيتين في النقد السوسيولوجي هما: طريقة السوسيولوجيا التجريبية ، التي تدرس العناصر الخارجية عن النص الأدبي مثل دراسة القراء والكتاب والناشرين ، وطريقة السوسيولوجيا الجدلية ،التي أطلق عليها (لوسيان غولدمان Lucien Goldmann)"البنيوية التكوينية"، وهذه الطريقة تزعمها كل من (جورج لوكاتش Georg Lukacs ولوسيان غولدمان و(جاك لينهارتJacques Leenhardt) و(بيير زيما Pierre Zima و(ميشال زرافا Michel Zeraffa)، أما الطريقة الأولى فأكبر ممثل لها هو روبير إسكاربيت[1].

لقد برز التيار التجريبي الأمبريقي [***] في نهاية خمسينيات القرن العشرين واعتمد على التقنيات التحليلية التي انتظمت في مناهج الدراسات الاجتماعية مثل الإحصائيات والبيانات وتفسير الظواهر انطلاقا من قاعدة معلومات محددة يبينها الدّارس طبقا لمناهج دقيقة، ويقصد بالسوسيولوجيا التجريبية دراسة الظواهر والوقائع الأدبية والفنية والجمالية في ضوء مقاربة اجتماعية علمية موضوعية تستعين بآليات التجريب العلمي واستعمال الإحصاء والرياضيات والفيزياء والأخذ بالاستقراء الوصفي والمقارن

والاستنتاجي،والانطلاق من الفرضيات والتجريب عليها بهدف الوصول إلى نتائج يقينية مع الاستعانة بالجداول والرسوم والأشكال الهندسية لتوضيح المعطياتوتبيانها وتفسيرها وتحليلها ومعالجتها[2].

يوجد اتجاهان مهيمنان في السوسيولوجيا التجريبية، الاتجاه الأول يتمثل في بعض أعمال (فوكن Fugen)وفي بعض مقالات (سيلبرمانSilbermann) و في الأبحاث التجريبية التي أنجزها (روزنجرينRozengren)، ويتميز هذا الاتجاه في فصله بين البحث السوسيولوجي بالمعنى الصحيح وبين النقد الأدبي والإستيطيقا العامة أو علم الجمال.أما الاتجاه الثاني، فهو الاتجاه الموسوم بسوسيولوجيا المضامين ،و الذي يستعمل النصوص الأدبية بوصفها وثائق اجتماعية ويتمثل في الأعمال الجديدة لـ(فوكنFugen) و في بعض أعمال مدرسة (بوردوBordeaux) ، خاصة تلك الأعمال المنشورة في الكتاب الجماعي تحت عنوان " الأدبي و الاجتماعي"[3].

2. مجالات البحث في السوسيولوجيا التجريبية:

يُوعز روبير إسكاربيت مشروعية سوسيولوجيا الأدب التجريبية القائمة على" دراسة (الفعل الأدبي Fait Litteraire)إلى طبيعة الإنتاج الأدبي باعتباره جهازا يؤسس حلقة يتقاسمها الأدباء والأعمال والقراء، و ما يثيره ذلك من مشكلات تأويلية ونفسية وفلسفية ترتبط بالمبدع وأخرى جمالية وأسلوبية ولغوية تخص الأعمال وثالثة تاريخية وسياسية واجتماعية واقتصادية يطرحها وجود جمهور القراء"[4]، وتحتفظ سوسيولوجيا الأدب التجريبية بتعدد اهتماماتها ومجالات اشتغالها، وهي مجالات يمكن حصرها بشكل عام في:

أ– دراسة الأدب كمؤسسة:

يمكن التمييز في هذا المجال بين توجهين أساسيين: يحصر الأول مكونات المؤسسة الأدبية في البنيات التحتية المتجلية في دور النشر والمكتبات وقنوات التوزيع ،و يؤسس التوجه الثاني تصوره على تأكيد الوظيفة المعيارية للأدب خلال لحظة تاريخية معينة.

ب–سوسيولوجيا الكاتب:

تهتم بمقاربة وضع الكاتب اعتبارا لوظيفته الأساسية في بلورة الفعل الأدبي، ويمكن التمييز في هذا الإطار بين مؤشرين سوسيو ـ ثقافيين يتم توظيفهما ضمن مؤشرات أخرى في إطار سوسيولوجيا الكاتب وهما:

ب.1 – مقاربة أجيال الأدباء:

يستمد توظيف مفهوم الجيل مشروعيته من طابعه الإجرائي، باعتباره يمكّن وفق آليات منهجية معينة من حصر ومقاربة سيرورة الإنتاج الثقافي بارتباطها المفترض بتحولات هرمية لأعمال الكاتب.

ب.2 –الأوضاع السوسيو مهنية:

يرجع(آلان فيالا Alain Viala) مشروعية مقارنة الوضع السوسيو مهني للأدباء كمؤشر على انتماءاتهم الاجتماعية إلى خصوصية ونوع العلاقة بين الإنتاج و الحضور الأدبيين داخل المجتمع، وانسجاما مع ذلك يؤسس الباحث تصنيفه للأدباء على درجة إسهامهم في شبكة المؤسسات الأدبية ،وعلى خصوصيات إنتاجهم من حيث انتظامه وحقول تخصصه وأجناسه[5].

3-السوسيولوجيا التجريبية بين روبير إسكاربيت و ألبير ميمي:

يمكن تحديد مجالات البحث في علم الاجتماع الأدبي عند ألبير ميمي*** بالاعتماد على صيغة ثلاثية هي" المؤلف والعمل والجمهور "ويقترح أن يدرس فيمايتعلق بالمؤلف وضعه الاقتصادي والمهني وطبقته الاجتماعية وفكرة الأجيال الأدبية،أما فيما يتعلقبالعمل فيرى ضرورة الدراسة السوسيولوجية لأمور أربعة هي: الأجناس والأشكال الأدبية، والموضوعات، و الطباع والشخصياتوالأساليب.أما فيما يخص الجمهور، فيقترح دراسة فكرة الجمهور والجماهير وعملية الاتصال ونجاح العمل الأدبي [6].

مجالات البحث في سوسيولوجيا الأدب عند ألبير ميمي

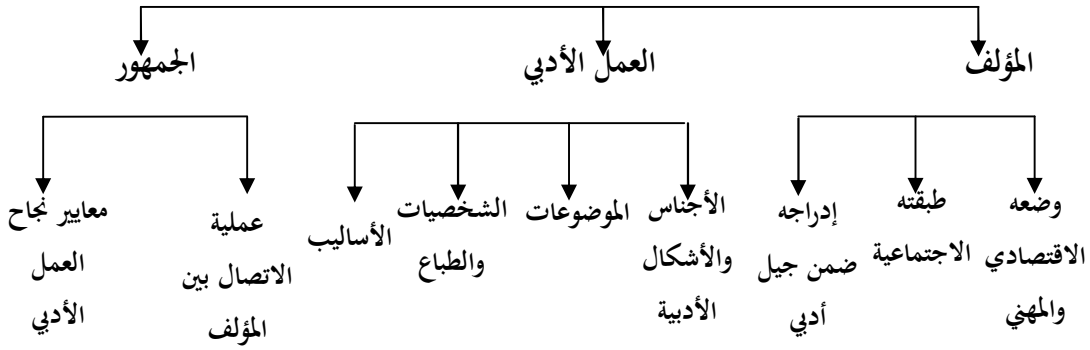

غير أن إسكاربيت اتجه وجهة أخرى، معتمدا على إطار مختلف إلى حدّ ما، حيث قسم مجالات البحث في ميدان علم الاجتماع إلى ثلاثة هي: إنتاج الأدب وتوزيعه واستهلاكه، ففي المجال الأول يتم مناقشة مشكلة الأجيال والفرق الأدبية أي يضع الزمن أولا في اعتباره "ويؤسس روبير إسكاربيت تصوره لهذا المفهوم على التمييز بين الأجيال الأدبية و الأجيال البيولوجية وذلك اعتبارا لصعوبة حصر الأولى في إطار تكتلات قارة، ولخضوع الثانية لتصنيفات تنطلق من مؤشرات ديموغرافية مضبوطة وموحدة، ويخلص إسكاربيت إلى اقتراح مصطلح Equide كمفهوم يحيل على مجموع الكتاب ذوي الأعمار المختلفة و الذين يحتلون المشهد الأدبي خلال فترة معينة"[7].

وفي المجال نفسه، يدرس روبير إسكاربيت الكاتب في المجتمع فيعرض لمناطق تنشئة الكتّاب ومشكلة التمويل ومهن الأدباء ، ومن الواضح أن هذه الموضوعات تناظر تلك التي درسها ميمي تحت مجال المؤلف، ولكن إسكاربيت يهتم اهتماما خاصا بمشكلة النشر و توزيع الأدب في المجال الثاني فيناقش علاقة النشر بالإبداع ودوائر النشر ويهتم بالتمييز بين دوائر المتأدبين أو المثقفين و الدوائر الشعبية ، و يناقش أخيرا مجال استهلاك الأدب و العلاقات المتبادلة بين العمل الأدبي و الجمهور، و يعرض لدلالة نجاح العمل ويبحث ضمن دوافع استهلاك الأدب و الظروف التي تحيط بمطالعة الأعمال الأدبية[8].

مجالات البحث في علم اجتماع الأدب عند اسكاربيت

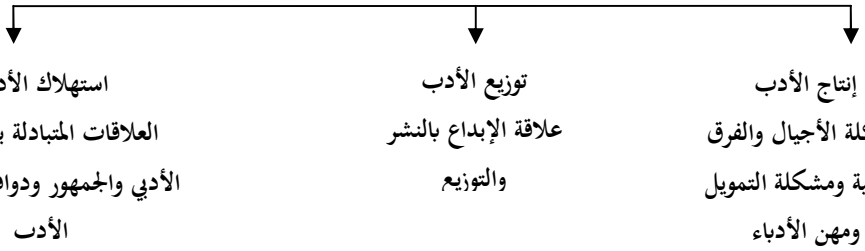

4. تلقي السوسيولوجية التجريبية في النقد العربي:

أ–جميل حمداوي وحيثيات النشر في كتابات بنسالم حميش:

خصص جميل حمداوي في كتابه "دراسات في النقد الروائي بين النظرية والتطبيق" مبحثا تطرق فيه لحيثيات النشر في رواياتبنسالم حميش ، تناول فيه "كل ما يتعلق بالنشر وعمليات الطبع والسحب والتوزيع وحقوق التأليف والإيداع القانوني وعدد الطبعات ، وكمية المبيعات ومكان الطبع وتاريخه واللجنة التي سهرت على طبع العمل الأدبي أو المؤسسة العلمية التي قامت بتمويله ونشره وتوزيعه"[(9)]، وهو هنا يؤكد التزامه بالمنهج السوسيولوجي التجريبي كما جاء عند روبير إسكاربيت وهذا ما يتجلى لنا بصورة أدق في قوله: "وهنا نتحدث عن سوسيولوجية تجريبية، تتعلق بالمؤلف والناشر والموزع والقارئ وذلك في أبعادها الكمية والتجارية والاقتصادية"[(10)].

ولكن المطلع على مقاربته النقدية سيلحظ أن الباحث قد أقصى من دراسته مجالين رئيسسين من مجالات البحث في السوسيولوجيا التجريبية عند إسكاربيت، وهما: مجال إنتاج الأدب و الذي يتضمن مشكلة الأجيال والفرق الأدبية ومناطق تنشئة الكتاب ومهنهم، ومجال الاستهلاك أو العلاقات المتبادلة بين العمل الأدبي و الجمهور.

إن هذا الإقصاء في رأينا انعكس سلبا على مقاربته النقدية التي افتقرت للعمق والتعليل، فنراه يستعرض بعض الآراء دون تحليل أو تفسير، ويتجلى لنا ذلك في قوله :"يلاحظ أن حميش يتعامل مع المطابع بمنطق اللغة المزدوجة "العربية والفرنسية" وأنّ منشوراته غير مقصورة على الوطن بل توزع في العالم العربي والدول الغربية أيضا"[(11)].

ويكتفي بإدراج جدول[(12)] تناول فيه أسماء الروايات ودور النشر التي صدرت عنها، بالإضافة إلى عدد الطبعات و تاريخها وشعار مركز الطبع وحقوق التأليف والثمن العمومي:

الروايات	دور النشر	عدد الطبعات وتاريخها	شعار مركز الطبع	حقوق التأليف	الثمن العمومي بالتقريب

سماسرة السراب	المركز الثقافي العربي بيروت لبنان –الدار البيضاء– المغرب.	الطبعة الأولى سنة 1996	زهرة أو وردة متفتحة على شكل كتاب مفتوح	محفوظة لمن الناشر أم المؤلف؟	30درهما

إن الجدول السابق ،يكشف لنا غياب عنصر مهم و متعلق باللغة التي كتبت بها الرواية، فكان عليه أن يقف على إشكالية ازدواجية اللغة عند المؤلف وعلاقتها بنجاح العمل الروائي أو فشله ونسبة مبيعاته وطبيعة الجمهور الذي اقتنى هذا العمل الروائي، وهذا مالم يتطرق إليه في دراسته بسبب إقصائه للمجال المتعلق بالبيئة الإجتماعيةللأديب،فسوسيولوجيا الأدب عند إسكاربيتليست أرقاما وإحصاءات فحسب تتناول الطبقة الإجتماعية التي ينشأ فيها المؤلفون وميولاتهم الفكرية وعدد النسخ التي يطبع منها الكتاب وطريقة التمويل وطبع الكتاب أو الربح الذي يحققه لمؤلفه وناشره، بل إنها تتناول إلى جانب هذه الأمور المقوّمات النفسية للأديب والتي ترتبط ارتباطا جذريا بمقوّماته العرقية والظروف الزمانية والمكانية للبيئة التي نشأ فيها وترعرع والبيئة العائلية والوسط الاجتماعي.[13].

ب –مُحَمَّد الدغمومي والرواية المغربية والتغيير الاجتماعي:

ب.1– منطلقاته النظرية:

تناول مُحَمَّد الدغمومي في دراسته الموسومة بـ" الرواية المغربية والتغيير الاجتماعي " دراسة سوسيو ثقافية " الجانب المتغير والديناميكي في علاقة الثقافة بالمجتمع، وتصوره هذا ينأى بالدراسة عن النزعةالسوسيولوجية الوضعية، "ليصبح التعامل مع الثقافة مشخصة في شكل منها تعاملا مع الواقع الاجتماعي كواقع ديناميكي لا كواقع سكون وثبات أو مشروط بتوازن مفترض"[14].

وهذا ماجعله يتبنى التوجه السوسيولوجي التجريبي في دراسته لكونه "ممارسة معرفية ديناميكية تستطيع أن ترصد قضايا كثيرة و متعددة ومتشابكة وتتمكن من توسيع الإجراءات وتجاوز الحدود التي يقف عندها كل بحث أمبريقي، لتمتلك مرونة لاتتناقض والموضوعية"[15].

وبهذا،فهو يدعو إلى نقد ثقافي ديناميكي يتجاوز حدود النقد الأدبي الذي أصبح عاجزا عن استكناه الأنساق المضمرة في النص الأدبي بما فيها النسق الثقافي المهيمن.

إن الرواية عند الدغموميشكل من أشكال الثقافة وهي بقدر ما تحصن نفسها كبنيةمستقلة، تبقى واحدة من عناصر كثيرة تشكل بنية الثقافة، وللرواية محددات اجتماعيةيجملها لنا الدغموميفي كونها:

1– إنتاجا ثقافيا يشبه غيره من الإنتاجات الثقافية من حيث ارتباطه بالواقع الاجتماعي كنشاط يحقق التواصل ويقوم بدور مماثل لما تقوم به الأشكال الأخرى، والتي ينتجها المجتمع كشئ قابل للتداول .

2– تعبيرا عن الواقع الاجتماعي من جهة الأفكار والصور والمواقف المكتوبة والتي تشخص حالات عامة أو خاصة داخل المجتمع[16].

ولا ينزاح مُحَمَّد الدغمومي عن المنظور السوسيولوجي في مفهمومه للرواية حينما يجعل منها "خطاب مثقف لمثقف وخطاب فئة اجتماعية صامدة تبحث عن قيم جديدة، في مجتمع يتغير وتعوقه عوامل تحول دون التغيير"[17]، وهذا المفهوم استمده من رؤية لوسيانغولدمان للرواية ، لكن ماتجدر الإشارة إليه أن

طبيعة القيم عند لوسيانغولدمانلاتقاس بمعيار الجدّة أو القدم وإنما تقاس بمدى أصالتها في مقابل القيم السائدة في المجتمع، فالرواية هي تاريخ بحث عن قيم أصيلة في وسط عالم منحط، وتتميز هذه القيم بخصوصيتها حسب كل رواية ، باختلاف القيم التي يتم البحث عنها من رواية لأخرى. (18)

ب.2 –خياراته المنهجية:

تبنى مُحَّد الدغمومي في مقاربته النقدية منهجين نقديين ، وهما المنهج البنيوي التكويني من خلال توظيفه لآليتي الشرح والتأويل والمنهج السوسيولوجي التجريبي في توظيفه آلية الوصف،وهذا ما يتجلى لنا في قوله :"ونحن عندما نرى الرواية المغربية فنحن نراها كنتاج مادي مرتبط حضوره بالمجتمع وتغيراته وكمعنى تحمله الرواية تعبيرا عن المجتمع وتغيراته أيضا ، وهذا ما يفترض إيجاد نقطةالتقاءبين ممارسة الوصف وممارسة الشرح، والتأويل لموضوع واحد يظهر بصورتين مادية ورمزية في آن واحد" (19).

وفي إطار مقاربته السوسيو ثقافية ، التزم بمجال مهم من مجالات البحث في السوسيولوجيا التجريبية وهو " المتعلق بإنتاج الأدب وبالوضع الاجتماعي للمثقف الكاتب ، الذي لم يحظ بعد بدراسات مقنعة وكافية تحدد موقعه وعلاقته بالسلطة الرمزية أو بالمجتمع المدني والسياسي خصوصا من الناحية السوسيولوجية، ومعظم هذه المقاربات سقطت في فخ المواقف الإيديولوجية التي لا تهتم إلاّ بمواقف المثقف السياسية،وبصفة خاصة المواقف المعلنة"(20).

كما تناول دراسة قضية الانتماء الاجتماعي للكاتب محددا السمات التي تتيح لنا تصنيفهم إلى مجموعة فئات بالنظر إلى الأصل الاجتماعي أو بالنظر إلى المجال الجغرافي وأيضا بالنظر إلى السن أو مستوى التحصيل العلميوهي العوامل التي تناولها في الجدول الآتي(21):

الكاتب	الميلاد	مسقط الرأس	الإقامة	المهنة	مستوى التعليم	عدد الروايات
مُحَّد الأحسايني	1963	قرية تاهلة	الدار البيضاء الرباط	صحفي	دبلوم الآداب1963	2

إن الجدول الذي أدرجه الدغمومي في دراسته و الذي تناول فيه تصنيف أربعة وعشرين كاتبا لم يتطرق فيه للأصل الاجتماعي أو الطبقة التي ينتمي إليها الكاتب، واكتفى فقط بذكر تاريخ الميلاد ومسقط الرأس ومكان الإقامة مشيرا إلى أهمية التصنيف الطبقي والاجتماعي في قوله: "من الممكن تصنيف الكتاب الروائيين إلى فئات باعتبار أصلهم الاجتماعي، فهناك فئة تنتمي إلى الطبقة المتوسطة المتجذرة في المدن العتيقة أو منحدرة من المدن الحديثة، وهناك فئة صادرة عن الطبقات الفقيرة القاطنة في البادية والتي هاجرت إلى المدن كنتيجة من نتائج التغيرات الاجتماعية التي طرأت بحثا عن العوامل أو التعليم و استقرت بها لتضع وضعا اجتماعيا جديدا"(22).

ولكن هذا التصنيف الذي تحدث عنه لا نجد له تطبيقا في دراسته، وهو كما يتضح لنا من الجدول السابق يتجنب التصنيفات الطبقية و الاجتماعية التي تخلق نوعا من التعصب والحساسيات النقدية، كما يوعز عدم التزامه بهذا التصنيف إلى غياب عمليات التوثيق الخاصة بالمؤلفين وهذا ما جعل نتائج دراسته نتائج نسبية و مؤقتة.

إن أهمية التصنيف الاجتماعي عند الدغموميتقتصر فقط على الكشف عن الأصل الاجتماعي المتواضع لأغلبية منتجي الرواية، ونحن هنا لا نتفق معه في ذلك ، لأن الانتماءالاجتماعي والطبقي والتكوين الثقافي والنفسي للمؤلف له علاقة وطيدة بطبيعة العمل الأدبي.

وكنا نأمل من الباحث أن يربط على الأقل بين الأوضاع السوسيومهنية للأدباء وانتماءاتهم الاجتماعية و بين خصوصة العلاقة ونوعها ، وبين الإنتاج الكمي و الحضور الأدبي داخل المجتمع، ولكنه اكتفى فقط بإدراج عدد الروايات دون أن يكشف لنا عن اتجاهات هذه الأعمال الروائية وخصوصياتها.

إن انتماء المؤلف إلى طبقة معينة يعد من الحقائق الواضحة في المجتمع ، ولكن ينبغي التمييز بين ضربين من الانتماء: الانتماء الاجتماعي – الاقتصادي والانتماء الإيديولوجي الذي يحتاج إلى دراسة دقيقة، فهل يعبر الكاتب عن طبقته الاجتماعية ؟ أو بعبارة أدق هل يعبر الكاتب دائما عن طبقته الاجتماعية وكيف؟ وينبغي أن نشير هنا إلى أنه قد لا يحدث تطابق تام بين المعتقدات والإيديولوجية التي يؤمن بها المؤلف وبين انتمائه الفعلي، وهذا ما يطلق عليه الخيانة الطبقية.[23]

وفي السياق ذاته، أوعز الدغمومي نجاح أوفشل العمل الأدبي إلى ثلاثة عوامل هي:الإيديولوجية والأدبية والتربوية "فالشرعية الإيديولوجية لاتعني هنا سوى أن تلك النصوص تتوافق والتعبير عن فئة اجتماعية طامحة إلى احتلال موقعها في التغيير، بينما النزعة الشرعية الأدبية هي نفس الرغبة من خلال شكل الحداثة الحاصل لذلك الطموح، في حين تعطي الشرعية التربوية لبعض النصوص فرصة اقتحام المجال السائد في الثقافة كشيئ مقرر تعليميا و معترف به اجتماعيا بعد أن كانت نصوصا أخرى تحل محلها، أو بعد أن كانت نصوصا غير معترف بها"[24]

ويستمد معاييره السابقة من تصور إسكاربيت للكاتب الناجح "الذي يعبر عما كانت تنتظره الفئة الاجتماعية والذي يكشف هذه الفئة أمام نفسها، إنّ الانطباع لدى القراء بأنه خطرت لهم الأفكار نفسها وأحسوا بالمشاعر ذاتها وعاشو الطوارئ نفسها هو واحد من الانطباعات التي يذكرها غالبا قراء كتاب ناجح".[25]

خاتمة :

إن قراءتنا النقدية للنموذجين السابقين ، تظهر لنا أن الاتجاه السوسيولوجي التجريبي في النقد العربي لا يزال سجين ثنائية الكم والكيف، وإن كانت هذه الثنائية قد غذت نمو البحث السوسيولوجي ككل، فإنها شكلت عائقا أمام تطور النقد السوسيولوجي العربي ويمكن أن نوعز ذلك للأسباب الآتية:

1.مجالات البحث السوسيولوجي التجريبي عند كل من روبير اسكاربيت وألبير ميمي هي مجالات متكاملة فيما بينهالأنها تتناول بالدراسة ثلاثية "المؤلف – العمل الأدبي – المتلقي" وهذا مالم يتفطن إليه الناقد العربي الذي اعتمد على مجال واحد ، فجاءت دراسته دراسة تجزيئية تفتقر إلى العمق والطرح المنهجي المتكامل، وتختزل النص الأدبي في مجموعة من الجداول والأرقام و الإحصائيات العقيمة.

2. عدم وجود مراكز بحث مشتركة تجمع بين الدراسات السوسيولوجية والنقدية ومختلف العلوم الإنسانية الأخرى وتنفتح على منجزات العلوم الدقيقة خاصة في ظل تحولات الأدب وانفتاحه على التكنولوجيا الرقمية.

3. غياب قاعدة بيانات دقيقة تساعد الباحث على التعرف إلى الانتماءات الاجتماعية والإيديولوجية والمهنية للمؤلفين وعدد طبعات الكتب ونسبة مبيعاتها، وطبيعة الجمهور الذي اقتنى هذه الأعمال واطلع عليها.

إن المقاربةالسوسيولوجية التجريبية تظهر فاعليتها أكثر حينما يستعين الناقد بمناهج نقدية مختلفة — نسقية وسياقية— تدرس النص من الداخل وتعمل على تفكيك بنياته لاستكناه مغاليقه ، كما تدرس السياقات الخارجية –خاصة –المتعلقة بالأبعاد النفسية لشخصية المؤلف ، وهذا التركيب المنهجي يعد مصدر إثراء و مسلكا نحو شمولية المقاربة وأداة لسد الثغرات وتحقيق التكامل المعرفي .

الهوامش :

*روبير إسكاربيتRobert Escarpit عالم اجتماع فرنسي ولد في 24 أفريل 1918 وتوفي في 19 نوفمبر 2000.

- **ألبير ميمي Albert Memmi باحث في علم الاجتماع وروائي وكاتب تونسي فرنسي ولد في 15ديسمبر 1920 وتوفي في 22 ماي 2020.

1-ينظر عبد الرحمن بوعلي: في نقد المناهج المعاصرة "البنيوية التكوينية"- دار عشتار للطباعة والنشر- الرباط- المغرب- ط.1- 1994 - ص: 11،12.

***-الأمبريقية أو التجريبية توجه فلسفي يؤمن أن كامل المعرفة الانسانية تأتي بشكل رئيسي عن طريق الحواس والخبرة، وتنكر التجريبية وجود أية أفكار فطرية عند الإنسان أو أي معرفة سابقة للخبرة العملية.

2-ينظرجميل حمداوي: ميادين علم الاجتماع- الجزء الأول- ط.1- 2015- ص: 220، 221.

3-ينظرعبد الرحمن بوعلي: في نقد المناهج المعاصرة- ص: 11-12.

4- حسن الوزاني: الأدب المغربي الحديث (1929- 1999) - دار الثقافة للنشر والتوزيع- الدار البيضاء- المغرب- ط.1- 2002- ص: 20-21.

5- ينظر المرجع نفسه ص: 21، 23.

6-ينظر السيد ياسين: التحليل الاجتماعي للأدب- مكتبة الأنجلو المصرية- مصر- د.ط – 1970- ص:97.

7- حسن الوزاني: الأدب المغربي الحديث- ص :22 .

8-ينظرالسيد ياسين: التحليل الاجتماعي للأدب- ص:97.

9-جميل حمداوي: دراسات في النقد الروائي بين النظرية والتطبيق- دار نشر المعرفة- المغرب- د.ط – 2013-ص : 131.

10-المصدر نفسه- ص:131.

11-المصدر نفسه- ص: 132.

12-ينظر المصدر نفسه- ص: 134.

13- ينظر روبير إسكاربيت: سوسيولوجيا الأدب- ترجمة وتمهيد إميل انطوان عرموني- دار منشورات عويدات- بيروت- ط.1- 1978- ص:9،10.

14-محمد الدغمومي، الرواية المغربية والتغيير الاجتماعي" دراسة سوسيو ثقافية- دار إفريقيا الشرق- الدار البيضاء- المغرب- د.ط- 1991- ص:8 .

15-المصدر نفسه- ص:9.

16-ينظرالمصدر نفسه- ص: 17.

17-المصدر نفسه- ص:73.

-18 ينظر النص الأصلي :

"Le roman est l'histoire d'une recherche dégradée (que Lukàs appelle « démoniaque »),recherche de valeurs authentiques dans un monde dégradé lui aussi mais à un niveau autrement avancé et sur unmode différent.
Par valeurs authentiques, il faut comprendre, bien entendu, non pas les valeurs que le critique ou le lecteur estiment authentiques, mais celles qui, sans être manifestement présentes dans le roman, organisent sur le mode implicite l'ensemble de son univers .Il va de soi que ces valeurs sont spécifiques à chaque roman et différentes d'un roman à l'autre."
Lucien Goldman : pour une sociologie du roman, Gallimard- paris, 1964-
p: 23.

19-محمد الدغمومي: الرواية المغربية والتغيير الاجتماعي- ص:18.
20-المصدر نفسه- ص:39.
21-ينظر المصدر نفسه- ص:57.
22-المصدر نفسه- ص:56.
23-ينظر السيد ياسين: التحليل الاجتماعي للأدب- ص: 106،107.
24-المصدر نفسه- ص:63.
25-روبيرإسكاربيت: سوسيولوجيا الأدب- ترجمة وتمهيد آمال أنطوان عرموني-ص: 14.

قائمة المصادر والمراجع:

1-مصادر ومراجع باللغة العربية:

1-بوعلي ، عبد الرحمن: في نقد المناهج المعاصرة "البنوية التكوينية- دار غشتار للطباعة والنشر- الرباط- المغرب- ط.1- 1994.
2-حمداوي، جميل: دراسات في النقد الروائي بين النظرية والتطبيق- دار نشرالمعرفة- المغرب-د.ط-2013.
3-حمداوي، جميل: ميادين علم الاجتماع، الجزء الأول، ط.1،2015.
4-الدغمومي، محمد: الرواية المغربية والتغيير الاجتماعي "دراسة سوسيوثقافية"- دار إفريقياالشرق- الدار البيضاء- المغرب-د.ط- 1991.
5-الوزاني، حسن: الأدب المغربي الحديث، (1929-1999- دار الثقافة للنشر والتوزيع- الدار البيضاء- المغرب- ط.1- 2002.
6-ياسين، السيد: التحليل الاجتماعي للأدب- مكتبة الأنجلو المصرية- مصر-د.ط-1970.

2-مراجع مترجمة:

1-إسكاربيت، روبير: سوسيولوجيا الأدب- ترجمة وتمهيد آمال أنطوان عرموني- دار منشورات عويدات- بيروت- ط.1- 1978.

3-مراجع باللغة الأجنبية:

1-GoldmanLucien : pour une sociologie du roman- Gallimard- paris- 1964.